

## داء الشعور بالحقارة أيضاً

للأستاذ عبد الرحمن شكرى



قرأ أديب مقالة داء الشعور بالحقارة فقال إن الصفات التي ذكرتها صفات شائعة في النفس الإنسانية . وكأنه بهذا القول يريد أن ينكر أن في النفس ما يصح أن يسمى داء الشعور بالحقارة . فذكرت الأديب بأن صفات الخير والشر كلها موجودة في كل نفس ، فلكل نفس منها نصيب قل أو كثير ، ولكن هذه الحقيقة لا تمنع من تفاوت النفس تفاوتاً عظيماً حسب نصيبها من صفات الخير أو الشر . ولا يزيد أن ننكر أن جرثومة الحقارة تلتق حتى في النفوس العظيمة ؛ هذا أمر يزيد أن تثبته وإلا ما استطاع القارىء أن يعترف بما ذكرناه في مقالنا من أن داء الشعور بالحقارة قد يصير وباء في بعض البيئات ، وأن له عدوى كعدوى الأمراض الجثمانية ؛ فلولاهذه الجرثومة التي تشترك فيها النفوس قاطبة ما استطاعت نفس أن تؤثر في نفس أخرى وأن تحملها على محاكمتها في الأفعال أو الأقوال الناشئة من شعورها بالحقارة

إن صفات الخير أو الشر شائعة في النفوس الإنسانية ؛ وهذا سبب العدوى وسبب المحاكاة . ولكن شيوع صفة من الصفات في النفوس لا يجعلها مرضاً حزيناً ، وإنما تصير تلك الصفة مرضاً إذا غلبت على النفس وصارت محور أعمالها وأقوالها وطلعت على كل صفة أخرى أو حاولت هذا الطغيان وتعلكت الشاعر . وفي هذه الحالة يكون الداء النفسي في أشد حالاته ، ولكن له حالات أخف وأهون

وقد ذكرنا أن ذبوع داء الشعور بالحقارة يكون أعظم في الأمم التي ظلت مغلوبة على أمرها عصوراً طويلة ، غلبة تشمرها اللذلة والسكنة سواء أكان الغالب قاهراً أم أتاه من الخارج أو حاكماً من أبنائها . وتظهر أعراض هذا الداء إذا قلت وطأة تلك الغلبة أو زالت أسبابها وزادت الحرية ، فتبرز وتمظ صفات القلق والألم والحقد والحسد خشية أن يقطن أحد إلى ما يشعر به صاحب داء الشعور بالحقارة في سريرة نفسه . وقد يكون شعوراً غامضاً

لا يقبته تماماً فيتماظم تماظماً لا اطمئنان فيه ، لأنه تساوره الأحقاد والحسد فيتم تماظمه عما يبطنه من الشعور وما يعالجه من داء الحقارة . وفي بعض النفوس يظهر الداء بمظهر التواضع وتحقير النفس تحقيراً يخالطه الحقد والحسد والقلق ، فتتم هذه الصفات أيضاً عما يعالجه المرء في سريرة نفسه من الشعور بالحقارة . وقد يعالج هذا الشعور وهو لا يدركه ولا يقطن له تماماً ، وقد يدعى التواضع المصاب بداء الحقارة أنه أكرم خلقاً من التماظم بهذا الداء . ولم نقل إن داء الشعور بالحقارة لا يظهر إلا في تلك الأمم التي ظلت مغلوبة على أمرها عصوراً طويلة ، وإنما قلنا إن ذبوعه فيها أكثر ، وصفاته ومظاهره أكثر تنوعاً وتمدداً ، وأعراضه أشد : من حب للظهور ومن دس وكيد وحقد وحسد . ولم نقل إن الكيد والحقد والحسد والتنافر ليس لها إلا هذا السبب وإلا هذا المصدر ، فلها أيضاً أسباب أخرى ، ولكن إذا ظهرت الصلة بينها وبين داء الشعور بالحقارة في مثل تلك الأمة أو البيئة الموصوفة كان هذا الداء هو سببها ، وحتى في حالات الأفراد المصابين بهذا الداء في بيئة سليمة منه قد تظهر صلات هذه الصفات بداء الشعور بالحقارة ظهوراً ليس مثله ظهور . أما في البيئات الموبوءة فليست الصعوبة في معرفة صلات هذه الصفات والمظاهر بالداء ، وإنما الصعوبة في حصرها وعددها ولم شتمها وتشعبها تشعباً عظيماً ؛ وهذا التشعب والتفرع قد يبعدها عن أصلها لكثرة الفروع وفروع الفروع حتى يتخيل للرائي أن لها أسباباً أخرى غير داء الشعور بالحقارة الذي هو منبعها وجذرها وجزعها في تلك البيئة ، فتتكاثر صفاتها أمام الباحث تكاثر الظباء على خراش . على أن المقل لا يجيد صموية في أن يفهم منشأ هذا الداء في الأمم التي ظلت مغلوبة على أمرها عصوراً طويلة تشمرها اللذلة والسكنة ، ثم جاءت الحرية . ومن لوازمها أن يخنى الحر ما يشعر به من صفات متوارثة أو غير متوارثة ، وهذه الرغبة في إخفاء ما في نفسه من داء الشعور بالحقارة قد تصير داء يتلمس كل وسيلة شريفة أو ذنيئة ، وقد يشرف بصاحبه على الجنون أو يبلغه ، وقد يدفع إلى الجرم . وفي اعتقادي أن مباهاة النفس للتمس من فقراء الفلاحين مباهاة ربما دعت إلى الجرم والإثم من أجل سبب نافع إنما تنشأ من هذا الداء ومن هذبه

المؤثرات الاجتماعية القديمة الحديثة . وكذلك حب الظهور الذي قد يودى بالأملك ويؤدى إلى خراب الأسر إنما هو داء الشعور بالحقارة الخفي يبرز في شكل تعاضم مصحوب بالقلق والحقد والحسد . وهذه المظاهر تشاهد أيضاً في نفوس بعض الموظفين والطلبة وسكان المدن الكبيرة . ولا بد أن نقول مرة ثانية إن صلات هذه الصفات بداء الشعور بالحقارة في بيئة اعتورها ذل ثم حرية بعد ذل طويل ، صلات ظاهرة لا تنكر ، وإن تلك الصفات ليست في شكها الذي تشترك فيه النفوس البشرية عامة بل زادت واشتدت حتى صارت داء ، وأنه لا يرجى رقى ولا تصلح تربية ولا يصلح تعليم ولا ترجى نمواته كلها إلا إذا عولج داء الشعور بالحقارة وأعراضه

وكانت الحرية الكاشفة عن هذه الصفات الكامنة أشبه الأشياء في فعلها بالخمير التي تظهر الصفات الكامنة ؛ فإذا كانت في طبع المرء شراسة أظهرتها الخمير إذا سكر ، وإذا كان في طبعه إسراف زادته الخمير إسرافاً حتى يكاد السكران يخلع بكل ثيابه ويتصدق بها على الناس ؛ وإذا كان في طبعه ميل إلى الإجرام دفعته الخمير إلى ارتكاب الكبائر

وليس بين القراء من لم يشاهد مريضاً بداء الشعور بالحقارة ، ولكن ذبوع هذا الداء في بيئة يجعله مألوفاً ألفة تفقده الغرابة ، فلا يشعر به الإنسان في تلك البيئة إلا إذا بحث عنه وتعمد الفطنة له

وكذا كان المصاب بداء الشعور بالحقارة مفلساً من العلم أو الذكاء كانت لجأته في جداله وحديثه أعظم ، وكان غضبه إذا خولف أشد ، وكان ادعاؤه العلم بكل شيء "أوفى وأتم ادعاء ، وكان حقه على من يخالف رأيه أبعد أترأ وأطول عمراً وأعمق مقراً من نفسه ، حتى ليكاد يأتي ربه يوم القيامة وأوضح أثر في نفسه حقه على من خالفه في رأيه في الحياة الدنيا . والويل لك إذا عاشرت من اشتد به داء الشعور بالحقارة ، فإنك إذا عاوتته حقد عليك من أجل فضلك عليه الذي يهيب شعوره بدائه ، وإذا لم تعاونه حقد عليك أيضاً من أجل حاجته إليك التي تهيج شعوره بدائه . وكذا كان المصاب بداء الشعور بالحقارة مفلساً من المال ادعى الثروة ، وقد يبلغ به داء الشعور بالحقارة منزلة بعض فيها بما

معه من المال على عياله كي يظهر به في المجالس والنوادى وبين الغريباء ، بمظاهر الأريحية والسخاء والثروة . وهو يتلطف ، وقد يتدال لمن يريد أن يقنعه أن صفات الأريحية والسخاء من صفاته وإن لم يكن من طبعه إلا الشراسة والحقد . وهو يحقد على كل من لا يمكنه من الظهور بمظهر التواضع والأريحية ومن لا يهجي له السبيل إلى ذلك ، وعلى من لا يضحي بكل شيء في سبيل مهيشة وسائل الظهور له ، وعبثاً تحاول أن تظهر لدى من اشتد به هذا الداء بوفاء أو ود ، وعبثاً تحاول أن تفهمه حقيقة الأمر ، فإنه يخادع نفسه حتى يمتد أنك تحسده على ماله من مظاهر العظمة أو الأريحية أو الذكاء النادر أو على منزلته في قلوب الناس . وفي البيئة التي يذبح فيها داء الشعور بالحقارة يمتد كل إنسان أنه عظيم الشأن ، أو يحاول أن يمتد هذا المتمد وأن يحمل الناس على اعتقاده ، ويرى أن أكبر جريئة في العالم هي أن يجيد إنسان أو أن يظن أن إنساناً أجاد (وإن لم يكن قد أجاد) في عمل أو قول أو جهد أو رأى أو صنع ، سواء أكانت الأعمال والأقوال مما يرجى فيه الخير للجميع أو مما فيه خير خاص ، وسواء أكان فيها نفع للمريض بداء الشعور بالحقارة أو لم يكن فيها نفع ، وهذا الحقد الذي يشعر به هؤلاء قد يخفي نفسه ويظهر بمظهر العيب ؛ وقد لا يخفي نفسه . وقد يدعى الغيرة على الخير والفضل ، وقد لا يدعى ، وهو دائماً كالحيوون في الغابة متحفز للوثوب والظهور إذا أتت الفرص ، فإذا لم تتح الفرص لم يثب . وكثيراً ما تراه في أوجه أصحابه عبوساً خاصاً يتم عن جنون الحقد ، وفي مثل هذه البيئة لا يبعد المريض بداء الشعور بالحقارة المشقة مشقة إذا كانت من أجل إحباط عمل زميل أو غير زميل ، كأنما تلك البيئة رقعة الشطرنج بين يدي لاعبين ماهرين لا يبقى كل منهما ولا يذر

ولعل السبب في أن الإنسان في تلك البيئة التي اعتورها ذل طويل ثم حرية لا هم له إلا منع غيره من الظهور (وكما كان الظهور بالإجادة في صنع أو قول كان الخوف منه أعظم) أقول لعل السبب هو الرجوع بالسريرة وبالنفوس إلى عهد ذلك الدل الطويل وطغيان الذين ظهروا في تلك العهد طغياناً سبب ذلك الدل الطويل وسبب داء الشعور بالحقارة ؛ وربما ظهر الظاهرون في تلك العهد بقدره أو إجادة فأصبح المرضى بداء الشعور

هذه الأعمال قد فعلها من نسبت إليهم أم أنهم حلوا على الاعتراف بها كدبا بوسائل جهنمية، ولا ينفي هذا الاستنتاج أن السياسة الدولية وعمالها السريين قد يستبيحون كل جريمة ضرورية وغير ضرورية في تنفيذ أغراض السياسة السرية وملحقات تلك الأغراض

ومن التلاميذ الصغار من يصاحب أهل الفساد أو المصايين بداء الشعور بالحقارة، فيريد أن يخفي التلميذ شعوره بالنقص أو الفساد الذي لحقه بإساءة أديه. وكثيراً ما يحاكي الصغار هذه الطوائف حتى من كان منها من الرعاع فيجأ كونهم في مشيتهم وإشاراتهم وأفعالهم، ويحسبون أن تلك المحاكاة تكسبهم رجولة وبطولة من غير أن يشعروا أن الرعاع أو من هم أكبر منهم منزلة وأعظم علماً من المصايين بداء الشعور بالحقارة يصدرون ويردون في أقوالهم وأعمالهم وإشاراتهم وحركاتهم وهم مُسْتَبْرُونَ لا يخبرون، وأنهم في كل هذه الأحوال طوع شعورهم بالحقارة وطوع الرغبة في ستر ذلك الشعور فكأنهم لعب خيال الظل بحركتها المحرك من وراء ستار

عبد الرحمن شكرى

## مجلة الرواية

أرقى مجلد فصيح صدرت في الشرق

تغذى عقلك وذوقك بروائع الأناضيل الموضوعية والمنقولة. تصدر عن دار الرسالة مرتين في الشهر؛ واشتراكها في مصر ثلاثون قرشاً، وفي الخارج خمسون. مجموعة سنتها الماضية تشتمل على النص الكامل لكتاب (اعترافات قتي المصير) لألفريد دي موسيه، وملحمة الأوديسة لهوميروس، وكتاب (مذكرات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم. وعلى ثلاث مسرحيات طويلة وعلى ١٢٠ أقصوصة من أروع الأناضيل في أشهر اللغات، وتضمن المجموعة في مجلدين ٣٥ قرشاً و ٢٥ قرشاً بدون تجليد عدا أجرة البريد

بالحقارة، حتى بعد تلك العمود القديمة البائدة، يكرهون كل ظهور بقدره أو إجابة لأن فيه مذلة لأنفسهم وهؤلاء الناس قد يتماونون في إظهار من برز بقدره أو إجابة ولكنهم فلما يفعلون ذلك إلا إذا كانوا يرجون في إظهاره إظهاراً لأنفسهم وإبرازاً لها واكتساباً لأنفسهم شيئاً من الشهرة بالإجابة التي لصاحبهم، أو إذا كانوا يرجون منه أن يعاونهم بقدرته على الظهور وإشباع نهمتهم منه

ويبدو داء الشعور بالحقارة أيضاً بين طائفة الخدم والحشم والرعاع فيحسبون أنهم يخفون ما يشعرون به من ضمة منزلتهم الاجتماعية بمحاكاة من هم أرفع منهم منزلة في اللباس أو في قتل الشارب أو في التنجح أو في الكاهة أو في التعالي والتعاطف على أصحاب الحاجات وكل من يريد مقابلة مخدوميه. وإذا كان المخدوم أيضاً مصاباً بداء الشعور بالحقارة ويخفيه بالسفاهة حرت وصرت لا تدرى أياخذ الخادم من أخلاق مخدومه أم يأخذ المخدوم من أخلاق خادمه. وكثيراً ما يتخذ كل منهما الآخر نصيراً في خصوماته التي يخلقهها من أجل شعوره بالحقارة. والغلام الذي يفرى المجرمين والأشرار بمن لا يجيبه وهو جالس على اللصطة ولا يتزلف إليه مثل الموظف الصغير المنزلة أو كبيرها الذي يفرى الأشرار بمن لا يتزلف إليه

وهذه الطوائف كلها تجنى على الصغار بتأثير قدوتها فيهم. وكثيراً ما يكون سبب إساءة التلميذ أديه رغبته في حب الظهور الناشئة من هذا الداء. وحب الظهور صفة عامة في النفوس كما قلنا، ولكنها في البيئات المريضة بداء الشعور بالحقارة تتخذ شكلاً وضيماً خاصاً وهي تكون مصحوبة بالصفات النفسية الوضيعة التي ذكرناها. وبما يدل على أن داء الشعور بالحقارة ينشأ بسبب عصور الغلبة التي تشمر بالذلة والمسكنة أن صفاته تكثر وتشيع بين المبيد وأبناء الأرقاء، أو من كان أجدادهم أرقاء في العصور الغابرة وبين أبناء الشعوب التي ظلت مغلوبة على أمرها عصوراً طويلة خلقت التواء في الخلق ولؤماً. ولعل هذا الأمر يفسر ما تقرأ في محاكمات قضايا روسيا من أعمال أبالسة أدت إلى كانوا أرقاء أو مغلوبين على أمرهم عصوراً طويلة، فلما نالوا الحرية أظهرت ما كمن في نفوسهم، وهذا سواء أكانت